الفرق بين المعلومة والفكرة

كتابة وليد خالد طوزة

الفرق بين المعلومة والفكرة

كتابة وليد خالد طوزة

2019-5-22

ن2

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين أما بعد. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أريد أن ابدأ المقدمة بالقول أن كل ما كتبته من آراء ومفاهيم لي فهي قابلة للصواب أو الخطأ كوني بشر ومعرض للخطأ فيما يصدر عني فما كان خطأً فمني ومن نفسي وأما ما كان صوابا فمن فضل الله سبحانه أولا ثم مما تعلمناه من ديننا الحنيف وكتاب ربنا تعالى وسنة نبينا ورسولنا ومعلمنا وقدوتنا وأسوتنا محمد عليه الصلاة والسلام. ويجب أن اذكر بدور أهل العلم والدعوة وكل من كان له فضل علينا في تعليمنا أمور ديننا. فأهل العلم والعلماء قد بلغوا اغلب جهدهم واغلب أوقات حياتهم لتعلم أمور الدين وتعليمه والعمل به والدعوة له والجهاد به وهي مكانة عظيمة لا يصل اليها الا من سار على نفس النهج وبذل الكثير من الجهد ونحمد الله على وجودهم فهم ورثة الأنبياء كما وصفهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وأردت ان أوضح باني لست من اهل العلم والدعوة ولا من طلبة العلم الشرعي وإنما لست إلا مسلما بسيطا من عامة المسلمين تعلم من أمور دينه وأراد ان يمتثل لقول الله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} من آية (110) سورة آل عمران وأن يمتثل لقول رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ((بلغوا عني ولو آية)) [رواه البخاري.] فأردت أن أكون ممن يذكر وينصح إخوته بما فيه فائدة وخير لنا جميعا بإذن الله تعالى في أمور ديننا. وأنا اعلم أن هناك من هو خير وأفضل وأعلم مني ممن قد يقرأ هذه الكتابات فتكون له من باب التذكير فإنها كما قال الله سبحانه {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} آية (55) سورة الذاريات فيكون فيها نفع للمؤمنين. وحتى أوضح ان الكتابات التي كتبتها تتعلق بموضوع مهم خاصة وأنه قد تم ربطه بالدين واستعماله في كثير من الأوقات بشكل خطير ألا وهو إستعمال مصطلحات العلم والفكر فيما يتعلق بدين الإسلام فأردت ان أوضح الفارق الذي من المفترض ان يكونا واضحا للمسلمين بين العلم والفكر وبين المعلومة والفكرة وأدعو الله سبحانه وتعالى بأن يتقبل مني هذا العمل كعمل صالح يرضاه وأن يجعله في ميزان حسناتي وأن يغفر لي وللمسلمين اخطائنا وذنوبنا. هذا والله تعالى أعلم.

لنبدأ بذكر المصطلحات التي يتم استعمالها كثيرا في العصر الحالي في التعامل من دين الإسلام من خلال مصطلحي العلم والفكر فيقال العلم الشرعي مثلا ويقال أيضا الفكر الإسلامي والذي أصبح يتضمن الكثير من الاقوال وله شهرة كبيرة عند الناس بل وأصبح متداولا حتى عند بعض

أهل العلم الشرعي. ولذلك سأتطرق للبدأ بتعريف المصطلحين ومن ثم اذكر كيف تم استعمالهما وذكر الفروق بينهما والايضاح بالأمثلة بإذن الله تعالى.

تعريف العلم

تعريف العلم لغة: الكلمة تأتي من فعل عَلِمَ بكسر اللام فيقال عَلِمَ الأمر أي عرف الأمر والعلم هو ضد الجهل.

تعريف العلم اصطلاحا: العلم الذي يقصد العلم الشرعي هو العلم المرتبط بأمور واحكام دين الإسلام من خلال مصدريه كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهما اصل العلم الشرعي ويقصد فيه أيضا كل العلوم المستنبطة من مصدري الوحي مثل علوم الفقه والعقيدة والتفسير والدراسة الحديثية وغيرها وهي كلها في الأصل تستند الى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كأصل والاستنباط منها باستعمال الوسائل العلمية كالقياس مثلا حتى يصبح علما مطبقا كما في الفقه مثلا من اجتهادات اهل العلم بالأحكام الشرعية استنادا الى الدليل الشرعي.

وبالنسبة للعلم فيمكن تقسيمه بشموله الى قسمين كما قي قوله تعالى {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} آية (9) سورة الرعد فمن الآية الكريمة نعلم ان العلم الذي هو من علم الله تعالى فينقسم الى علم الغيب وهو العلم الذي اختص الله سبحانه وتعالى به لنفسه وعلم الشهادة وهو العلم الذي أذِن به سبحانه وتعالى ويسره لخلقه. وفي علم الشهادة نستطيع ان نقسمه لقسمين فالأول هو العلم الشرعي وهو العلم الذي جعله الله سبحانه وتعالى دينا وشرعا للناس واوحى به الى الرسل وبلغوه الرسل للأمم كما هو العلم الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة في دين الإسلام. والقسم الثاني من علم الشهادة هي كل العلوم الدنيوية التي توصل اليها الناس في دراسة الخلق والآيات الكونية باستعمال الوسائل العلمية والتجارب والتطبيقات وغيرها وقد ثبت صحتها وحقيقتها بتلك الوسائل والأدلة العلمية.

أما تعريفي المبسط للعلم بشكل عام فهو عبارة عن مجموعة من المعلومات وهنا لا نقصد فقط العلم الشرعي بل حتى العلوم الدنيوية. ومن الممكن ان نقول ان العلم بأمر ما هو إدراك لحقيقة هذا الأمر ومن الممكن أيضا ان نعرف العلم بأمر ما، هو أن يُفهم هذا الأمر على وجهه ومعناه الصحيح فيجب ان يصل بفهمه الى معنى الأمر المقصود. لكن إن فهم الامر على غير وجهه او معناه المقصود فلا نستطيع أن نقول انه علم بالأمر وانما فهم الأمر فهما خاطئا. وإذا أردنا أن نصف المعلومة فهي يجب ان تتصف بصفات حتى ندرك انها معلومة فهي حقيقة وممكن وصفها بانها حقيقة علمية وهي ثابتة فلا يمكن ان تتغير وفيها الصدق فقط فالخبر فيها ما يوافق الحقيقة

ولا كذب فيها او تحريف والا ستوصف بانها معلومة مكذوبة أو مغلوطة لأن وقع فيها التغيير والتحريف وهو تعريف الكذب في الواقع.

أصل العلم

وأصل العلم هو من الله سبحانه تعالى كما ذكر في قوله تعالى {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)} سورة العلق وقال الله تعالى {الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)} سورة الرحمن وقوله تعالى في آية الكرسي {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} من آية (255) سورة البقرة وقوله تعالى {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} من آية (85) سورة الإسراء وقال تعالى {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} من آية (32) سورة البقرة وقال تعالى {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} من آية (31) سورة البقرة فكما هو معلوم أنه سبحانه وتعالى من صفاته العلم ومن أسماءه سبحانه وتعالى العليم كما هو مذكور في كثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم. ولذلك نرجع ونقول ان أصل العلم هو من عند الله تعالى فعلمنا إياه من خلال الوحي للرسل فقد وصلنا علوم الدين بكتاب الله تعالى القرآن الكريم وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقال تعالى {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} آية (151) سورة البقرة. بل وحتى العلوم الدنيوية هي أيضا من علم الله تعالى فكلما توصل اليه البشر من تطورات في مختلف العلوم الدنيوية من دراسة للعلوم الطبيعية والكونية في الفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات والأحياء وغيرها من العلوم وكل ما نتج عنها من علوم تجريبية وتطبيقية كعلوم الهندسة والصيدلة والطب والتقنية وغيرها إنما هي دراسة لخلق الله سبحانه وتعالى وقد قال الله تعالى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} آية (14) سورة الملك ومهما بلغنا في تلك العلوم كبشر فلن نعلم في خلق الله تعالى اكثر من الصانع سبحانه وتعالى وقد قال تعالى {وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} من آية (85) سورة الإسراء وانما من فضل الله تعالى ان يسر لنا العقل وقدرة التعلم والتفكر واستعمال الوسائل العلمية كالقياس والحساب والاحصاء لنتدبر في خلق الله تعالى ولندرك عظمة الخالق سبحانه وتعالى ودقة تصميمه وعظمته في خلقه مثل ما توصل اليه العلوم في مجال الفلك او في مجال الاحياء الدقيقة وغيرها من العلوم.

ولذلك وكما قلت سابقا أن العلوم سواء كانت العلم الشرعي الذي أوحى به الله تعالى لأنبيائه ليكون دينا للناس يعبدون الله تعالى به أو حتى العلوم الدنيوية التي توصل اليها البشر في دراستهم لخلق الله تعالى فكله من عند الله تعالى يسره للناس حتى يتعلموه. ففيما يتعلق في العلم الشرعي في دين الإسلام الذي حفظه الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}

آية (9) سورة الحجر بأن حفظ كتابه الكريم القرآن الكريم من التحريف وحفظ السنة النبوية الشريفة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ويسر سبحانه وتعالى من الأسباب من خلقه بأجيال من أهل العلم والايمان والتقوى إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين بأن كانوا سببا في حفظ كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام من التحريف والكذب فيه. فهذا دين الإسلام هو دين من عند الله تعالى وهو دين علم وعلم من الله تعالى وهو نظام رباني متكامل لكل شؤون حياة الخلق لا خطأ فيه فالله سبحانه وتعالى منزه عن الخطأ سبحانه وعلمه سبحانه وتعالى منزه عن الخطأ ودينه الإسلام منزه عن الخطأ. أما فيما يتعلق بالعلوم الدنيوية فهناك ما تم اثباته بالتجربة والأدلة العلمية والتطبيق حتى فتم التأكد منها على انها حقائق علمية ثابتة لا تتغير فمثلا معلومة في الفيزياء فيما يتعلق درجة حرارة غليان المياه كمثال فقط ثبتت بالتجربة العلمية وباستعمال أجهزة القياس للحرارة الدقيقة أن تلك الدرجة تكون عند 100 درجة حرارية مئوية (Celsius) . فمثل هذه المعلومة لا يمكن رفضها تحت أي مبرر لأنها مثبتة علميا بل انت بنفسك تستطيع ان تتأكد من صحة المعلومة وحقيقتها بأن تقوم وان تفعل التجربة بنفسك وتقيس درجة حرارة الماء عند الغليان. أو مثلا معلومة أخرى في الفيزياء فيما يتعلق بقانون الجاذبية الذي درسه العالم الفيزيائي إسحاق نيوتن (Isaac Newton) فقد درس قانون الجاذبية وحسب مقدار تسارع الجاذبية الأرضية وقوة جاذبية الأرض هو أمر كان يدركه الناس منذ بداية الخلق فالكل كان يدرك بإنك ان كنت تمسك تفاحة بيدك ثم افلتها فماذا سيحصل؟ لو سالت هذا السؤال حتى لطفل صغير لقال لك ان التفاحة ستقع على الأرض وهذا كان معلوما عند الناس كأمر بديهي حتى قبل دراسة العالم الفيزيائي نيوتن للظاهرة لكن ما يحسب له انه درسها دراسة علمية واستطاع يحلل قوة الجاذبية ويستنتج منها الحسابات والمعادلات وما يعرف الآن بقانون الجاذبية. وفي هذا لو أردنا ان نعمل تجربة بسيطة فقط لتأكد حقيقة قوة الجاذبية الأرضية ووجودها فلنأخذ 100 تفاحة مثلا في 100 موقع حول العالم وفي 100 وقت مختلف أيضا ثم نفلت تلك التفاحات فهل ستجد مثلا ان هناك تفاحة ستبقى ثابتة في الهواء ولن تقع مثلا. نحن نعرف الإجابة بأن كل التفاحات ستقع إلى الأرض وهذا وإن لم ندرس قانون الجاذبية فنحن ندرك ونعلم ان هناك قوة ستجذب التفاحات الى الأرض. ولذلك حتى في العلوم الدنيوية التي ثبت صحتها بالوسائل العلمية فهي تعتبر حقائق علمية ثابتة لا يمكن لأحد ان يرفضها. ومن يزعم ان العلوم كلها سواء العلوم الشرعية او العلوم الدنيوية هي علوم ليست ثابتة وقد تتغير فهل يستطيع ان يزعم مثلا انه سيأتي يوم لا تقع فيها التفاحة الى الأرض في حال افلاتها بالطبع لا. وليكن معلوما ان من يتبنى عادة هذه المزاعم هم الملحدون حتى يتبنوا بأن لا يوجد شيء ثابت او حقيقة ثابتة وهذا التبني مقصود حتى لما يبين الكثير من الحقائق العلمية التي اثبتت حديثا مثلا في دقة النظام في المجرات أو دقة التصميم في أجهزة

وأنظمة الانسان وأنها كلها حقائق تؤكد ليس فقط بوجود خالق لها بل وحتى بديع خلقه وصنعه سبحانه وتعالى. فكيف يرفضون تلك الحقائق بعدم اعترافهم بوجود أصلا الحقيقة كحقيقة الوجود وبنسبية تلك الحقيقة. فاعترافهم بوجودهم هو كاف كدليل على كونهم مخلوقين فلا يمكن ان نقول مثلا عن جهاز الكتروني مصمم ومصنع بدقة وللقيام بمهام دقيقة ثم يقال ان هذا الجهاز الالكتروني قد وجد من العدم فلا يمكن قبول هذا التخيل لأنه ببساطة ينافي العقل فالعقل بداهية يؤكد على أن الجهاز الدقيق وان لم يعرف مصنعه برؤيته واستعماله في تطبيقات يعرف بانه صنع على يد مصمم خبير ودقيق. فكيف لا نقبل افتراض أن هذا الجهاز قد اتى من العدم أو أنه قد اتى بشكل عشوائي ثم نعتمد هذا الافتراض الباطل في حقيقة وجودنا كبشر وكل ما في اجسامنا من أجهزة مصممة بدقة وتناسق بشكل هائل ووجود الكون المصمم بدقة متناهية. بالطبع هذا الافتراض لا يمكن ان يقبل من أي عقل سليم.

حتى لا اطيل فيما يتعلق بمسألة رفض الحقيقة العلمية فيما يتعلق بالعلوم الدنيوية فمن باب أولى منا نحن كمسلمين مؤمنين بدين الله تعالى لما نتعامل مع العلم الشرعي وتحديدا النصوص الشرعية مع كتاب الله تعالى ومع سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فنحن نتعامل كمسلمين مع حقائق وعلم ووحي من عند الله تعالى ولا خطأ فيه وهو محفوظ من الله سبحانه وتعالى ولا يمكن أن نرفضه كمسلمين او نرفض بعضه او نرفض حتى آية واحدة او حديث واحد صحيح تحت أي مبرر كان وإلا ماذا نختلف عمن وصفهم الله سبحانه وتعالى {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} من آية (85) سورة البقرة وهنا أنا أتكلم عن النص الشرعي نفسه وليس فهمنا له وسأتكلم فيما يتعلق بالتعامل مع النص الشرعي بالتفصيل لاحقا. لنعد فيما يتعلق بما ثبت من العلوم الدنيوية فلو افترضنا ان هناك من يرفض حقيقة علمية ما فعليه ان يثبت عدم صحتها بالدلائل والوسائل العلمية وإلا لا يمكن الأخذ بكلامه ورفضه. ومن الممكن ان يقع خطأ في بعض ما توصلت اليه العلوم الدنيوية لكن يتم تبرير الخطأ هذا اما بانه استعمل وسيلة علمية بطريقة خاطئة أو غير دقيقة أو لم يستعمل الوسيلة العلمية المناسبة لكشف المعلومة ولذلك من يبين خطأ تلك المعلومة يبينها بالدليل العلمي والوسيلة العلمية الصحيحة والدقيقة والمناسبة وسيكون قادر على تشخيص الخطأ الذي وقع في الطريقة السابقة بدقة. ولكن هذا الامكانية من الخطأ لا يمكن ان يكون موجودا في النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى او سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهي محفوظة من الله تعالى والنصوص أصلا وصلت لنا من خلال الوحي لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام فبلغنا إياها فقد قال الله تعالى { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)} سورة النجم ولم نصل الى تلك النصوص وما فيها من حقائق عبر وسيلة علمية ما كما هو مستعمل في دراسة الآيات

الكونية والعلوم الدنيوية فيحتج البعض مثلا بسوء استعمال الوسيلة العلمية للتوصل للمعلومة الشرعية.

التفكر

وهنا اريد أن اضيف انه فيما يتعلق بالفكر فالله سبحانه وتعالى نسبه الى الناس فقط كما في قوله تعالى {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} من آية (13) سورة الجاثية وقد استعملت لفظ يتفكرون في آيات كريمة أخرى وهي عائدة لكلمة التفكر. والتفكر من المفترض أن تكون منضبطة بالاستناد الا الأصل العلمي المستمد من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وان تكون منضبطة بحسن الظن بالله سبحانه وتعالى أولا ثم بحسن الظن بخلقه ثانيا. فلا يمكن ان نعتبر مثلا فكر التشكيك بدين الله تعالى وبمسلماته وأصوله وأركانه الثابتة بأنه من التفكر وهذا يكون عادة تحت غطاء الفكر والفلسفة بشكل عام بل حتى تحت غطاء الفكر الإسلامي من بعض من يزعم أنه مفكر إسلامي ويريد التجديد في الدين ولا ترى من أقواله وأطروحاته الا محاولة لهدم أسس دين الإسلام والطعن في أصوله ومسلماته. فهل من المعقول ان نعتبر هذا الفكر الفاسد على أنه من التفكر الذي أمر الله به سبحانه وتعالى بالطبع لا.

تعريف الفكر

وبما أنا بدأنا بالتكلم فيما يتعلق بالفكر فتعريفه لغةً: الكلمة تأتي من فعل فَكَرَ ويستمد منها كلمة الفكرة والفكر والتفكّر والتفكير والفعل المستعمل هو فكّر بتشديد الكاف.

أما تعريفنا المبسط للفكر بانه مجموعة من الأفكار والمفاهيم والتصورات وهي جمع فكرة وهو نتاج بشري خالص وكما هو معلوم أن كل ما يصدر من البشر من فعل أو قول أو تفكير فهو قابل للخطأ والصواب فكما قال نبينا محمد عليه السلام ((كلُّ بني آدم خَطَّاءٌ، وخيرُ الخَطَّائِينَ التوابون)) [رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد] ونحن نعلم اننا معرضون للخطأ في كل ما يصدر عنا ولسنا كاملين بحيث لا نقع في الخطأ وإنما الكمال لله وحده سبحانه وتعالى. ولذلك وفي الأصل إذا قارنا بين العلم والفكر فكما وضحنا أن العلم لا خطا فيه لأنه حقيقة وهو أصلا من عند الله تعالى وأما الفكر فهو من نتاج البشر في التعامل مع العلم أو حتى نتاج فكري بشري لا يستند الى أصل علمي فكلاهما معرض للخطأ والصواب لأننا كما بينا أن كل ما يصدر عنا قد نخطأ فيه. للتفصيل أكثر فيما يتعلق بالفكر الذي لا يستند الى أي اصل علمي شرعي من الدين فمن الممكن ان نعطي مثالا عليه الفلسفة كشكل من اشكاله وهي مجموعة من الأفكار أو يعرفه البعض بأنه نظام فكري لتصور ما كمثلا المجتمع وكيفية الحياة وفهم حقيقة الوجود وكيفية تعامل الناس مع كل شيء اخر

وهو في العادة لا يستند الى أي اصل ديني ومعلومات من الأديان وانما هي كما قلت تصورات لفلاسفة وغيرهم والمشكلة ان كثيرا منهم كان يتبنى أفكارا فيه تناقض مع أصول الدين وكثيرا منهم تبنى الإلحاد وانكار وجود الخالق سبحانه وتعالى وان كان بعض الفلاسفة ربما توصل الى حقيقة وجود الخالق فمع ذلك المشكلة في أن الفيلسوف قدم تصوراته وفهمه وافكاره منذ القدم على ما انزله الله تعالى من الحق والعلم في الأديان في مختلف الازمان. وهذه هي المعضلة بحد ذاتها. فهل يتوقع ذلك المخلوق انه سيفهم الحقيقة ويدركها من دون أن يرشده ويعلمه الخالق وان المخلوق فقط بفكره ونظرته سيصل إلى كل الحقائق فهذا امر لا يقبله العقل السليم. يجب ان ندرك أصلا فيما يتعلق بحقيقة وجودنا بأن الله تعالى خلقنا لعبادته كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} آية (56) سورة الذاريات فقد علمنا أنا خُلقنا وأنا خُلقنا لحكمة وهي عبادة الله تعالى فيبقى السؤال كيف سنعبد الله تعالى فيسر الله تعالى لكل الأقوام في كل الأزمان الرسل والكتب والدين لتعليم الناس كيفية عبادة الله تعالى والقيام بما أمر به سبحانه والانتهاء عما نهى عنه سبحانه وتعالى. فنحن ندرك فيما يتعلق بقدراتنا المحدودة كمخلوقين انه مثلا إذا صنعنا أداة معينة فهي صنعت لتأدية عمل ما وإذا أردنا ان نستعمل تلك الأداء لتأدية العمل فسنسأل صانعها ونتعلم منه كيفية عمل الأداة وهذا أمر بديهي عند كل الناس حتى في أي أمر نريده ان نفعله في الدنيا مع عمل او حرفة فيجب ان نتعلم أولا كيفية الحرفة ثم نستطيع ان نطبقها بعد أن نتعلمها أولا.

اما فيما يتعلق بالفكر الذي يستند الى أصل علمي او معلومة بشكل عام فهذا طبعا أفضل من الفكر الذي لا يستند الى أصل علمي. ولكن حتى هذا النوع من الفكر فيه من الخطورة الكثير لان هذا الفكر هو عبارة عن محاولة لفهم هذه المعلومة ولكن هذا الفهم أيضا معرض للخطأ او الصواب فان وصل الى المعنى الصحيح الكامل للمعلومة فهنا أدرك المعلومة وهنا يكون من الممكن أن نقول انه فقه الأمر ان كان فيما يتعلق في العلم الشرعي. أما ان لم يفهمها على الوجه الصحيح او توصل الى مفهوم يخالف المعنى اولم يفهم المعنى كاملا فهنالك ما زال خطأ في فهم المعلومة وهذا كله ينسب للفكر فمن الممكن مثلا ان تتعامل مع معلومة واحدة ولها معنى واحد صحيح ولكن قد تفهم على عدة أوجه أخرى ولكن الأوجه الاخرى لا يوافق المعنى المقصود وهناك فقط وجه واحد يوافق المعنى المقصود للمعلومة فهنا الأصل ان نأخذ بالفهم الصحيح لمعنى المعلومة وان نترك الأوجه الأخرى المخالفة للمعنى الصحيح لكن سيبقى يقال ان الأوجه التي قد تفهم بها ستدرج كلها تحت نطاق الفكر. المشكلة تكون عندما يخدع البعض ويستغل جهلهم بان يروج مثلا ان كل الأوجه من المفاهيم هي مقبولة وفي الواقع هناك فقط فهما واحد صحيح للمعلومة وهو الفهم الذي يوصل للمعنى الصحيح للمعلومة. لنضرب مثالا بحديث نبينا محمد عليه الصلاة

والسلام ((انصر أخاك ظالـمًا، أو مَظْلومًا»، فقال رجل: "يا رسول الله، أنصره إذا كان مَظْلومًا، أفرأيت إذا كان ظالـمًا، كيف أنصره؟" قال: «تَحْجُزُه، أو تمنعه من الظُّلم، فإنَّ ذلك نَصْره)) [رواه البخاري.] كما هو واضح من معنى الحديث النبوي الشريف ان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يدعو الى نصرة المظلوم ومقتضى الحديث هو الالتزام بالعدل وترك الظلم. لكن في الجزء الأول في نص الحديث النبوي أمر نبينا بنصرة الظالم أيضا وهو أمر استشكل فهمه الصحابة اذ فيه ما هو مخالفة لنصرة المظلوم ورفع الظلم وموافقة العدل وإذا بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام يبين للصحابة ما استشكلوه بان الوجه الذي قصده لمعنى نصرة الظالم بمنعه وابعاده عما يرتكب من الظلم وبهذا فهم الصحابة الوجه الصحيح والمعنى الذي قصده نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

ولذلك يجب ان ندرك انه عندما نتعامل مع النص الشرعي سواء كانت اية من آيات الله تعالى في القرآن الكريم أو مع حديث نبوي شريف وواجهنا اشكال في فهمه فلا نذهب للقول بان هناك اشكال في نص الحديث نفسه أو نص الآية الكريمة أو أن نعتبر أن هناك تعارض في هذه الآية مع آية أخرى أو أن نقول أن هذا النص سواء كان آية كريمة أو حديث نبوي يتعارض ويتناقض مع العقل. بل على العكس فكما ذكرنا ان الخطأ لا يقع في علم الله تعالى وانما يقع الخطأ في فهمنا لذلك النص وان حصل لنا ذلك وكلنا معرضون له فواجهنا مشكلة في فهم آية كريمة أو حديث نبوي شريف فهنا يجب ان نرجع الى أهل العلم ونسألهم فيما أشكل علينا في فهم ذلك النص الشرعي والذي حجزنا عن الوصول بفهمنا الى المعنى الصحيح المقصود بذلك النص الشرعي وذلك لقول الله تعالى {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} من آية (43) سورة النحل.

وهذا ما ينطبق حتى على المعلومات والعلوم الدنيوية فمثلا عندما نتعامل مع معلومة طبية صحيحة ولكن اسأنا فهمها وبناءً على فهمنا الخاطئ طبقناها بطريقة خاطئة ككيفية استعمال دواء ما فالخطأ هنا ليس بالمعلومة الطبية بل في فهمنا وتعاملنا مع المعلومة بحيث لم نصل الى المعنى المقصود بتلك المعلومة وهذا قد يقع إما لعدم ادراكنا لكل تفاصيل المعلومة أو جهلنا في التعامل مع بعض المصطلحات والمعطيات الموجودة في المعلومة. كيف نصحح تلك المشكلة ببساطة ندرك اننا يجب ان نرجع الى أهل الاختصاص فيما يتعلق بالمعلومة الطبية كالطبيب المتخصص بنفس المجال ونسأله ونتعلم منه المعنى الصحيح للمعلومة الطبية وأين اخطأنا في فهمنا وكيفية استعمال المعلومة الطبية بشكل صحيح.

الفرق بين الفكر والفقه

في البداية مصطلح الفكر وفق ما أعلم لم يستعمل عند المتقدمين من اهل العلم خاصة في القرون الأولى من الإسلام وربطه بأمور الدين وانما كان يستعمل العلماء عادة مصطلح الفقه. ولم يتم استعمال وتداول مصطلح الفكر وربطه بالإسلام إلا عند المتأخرين.

اما فيما يتعلق بالفقه في الإسلام فكما وضحنا سابقا يقصد به الفهم الصحيح للمعاني المستمدة من النصوص الشرعية وليس أي فهم. فأي فهم خاطئ لا يوصل به للمعنى الصحيح للنص الشرعي لا يمكن ان يعتبر فقها للنص. لكن هناك من سيحتج بأنه كان ولا زال اختلاف في الاجتهاد بين اهل العلم في المسائل الفقهية فكيف يوجد أكثر من فهم واجتهاد في التعامل مع مسـالة فقهية. أولا فيما يتعلق باجتهاد العالم وفتواه في مسألة فقهية هو أصلا يستند الى دليل شرعي من الكتاب او السنة فليس يفتي بمسألة بدون دليل شرعي وثانيا ان في كثير من الاقوال والاجتهادات المرجوحة تكون موجودة خاصة عند بعض المتقدمين من العلماء لأنهم لم يكن بلغهم دليلا شرعيا من سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فيم بلغ عند غيره فأصبح عند غيره القول الراجح وفي هذا القول المرجوح كان موجودا لان أصلا لم يبلغه الذي يبين لهذا العالم ان اجتهاده مرجوح. وهناك بعض النصوص الشرعية التي قد تفهم على أكثر من وجه فيكون عادة رأي الجمهور في فهم النص هو الراجح لان يكون أقرب للمعنى والصواب. والفهم والاجتهاد المرجوح يكون أيضا وجها قد يحتمله استعمالات اللغة العربية في فهم النص الا انه لا يأخذ به وهنا أيضا لا يشك فيما اجتهد اجتهادا مرجوحا بل يحسن الظن به وينصف في حقه في اغلب مسائل الدين اللي أصلا يكون متفقا فيها مع غيره من اهل العلم الشرعي. مع التأكيد ان هذا لا يقع الا في بعض النصوص الشرعية في الاختلاف في الاجتهاد فيها والوصول الى معانيها واما باقي النصوص الشرعية فكثير منها تعتبر نصوص قطعية ولا تقبل التأويل فهي متفق فيها وفي معانيها عند اهل العلم وكثير من المسائل التي فيها اجماع عند اهل العلم وخاصة في أصول الدين وعادة الاختلاف في الاجتهاد يكون في فروع الدين التي لم يحسمها النص الشرعي بنصوص قطعية واتسع فيها الاجتهاد.

ولا ننسى ان كثيرا من الفقهاء في العلم الشرعي استعملوا الوسائل العلمية في الاجتهاد كالقياس مثلا فلما يثبت حرمة امر ما بالدليل الشرعي من الكتاب او السنة ويعلم في هذا الامر ان فيه مثلا ضررا واذى للجسد كضرر صحي فاذا اتى امر مستحدث مثلا في العصور الحالية وثبت انه هذا الامر المستحدث له ضرر مشابه او اكبر حتى للأمر الذي حرمه الشرع فهنا يفتي الفقهاء بحرمة الامر المستحدث قياسا على الامر المحرم مع انه لم يذكر في النص التحريم على الامر المستحدث وانما كما هو معلوم ان من حكم الله تعالى انه حرم أمورا على الناس رحمة بهم بحيث ان في كثير

من تلك الأمور تسبب الضرر والمفسدة للناس وعلى هذا ما يثبت بالقياس ان له ضررا ومفسدة لأمر حرمه الشرع فيتعامل معه الفقهاء كما يتعاملوا مع ما حرمه الشرع بالنص أصلا.

وهنا اريد ان أؤكد على ان القياس هي وسيلة علمية تكاد تكون معتمدة حتى في كل العلوم الدنيوية بل حتى يدركها البسطاء من الناس ولا يختلف فيها عقلان. فمثلا لو كان لدينا جهازا لحساب الوزن ولكن علمنا ان أكبر وزن من الممكن ان يحسبه هو 100 كيلوجرام فاذا اتينا بوزن مقداره 120 كيلو جرام واردنا التأكد من صحة ذلك الوزن فلن نستطيع ان نستعمل هذا الجهاز الا إذا قسمنا الوزن الكبير الى قسمين مثلا وإذا لم نستطع ان نقسم الوزن فاذاً يجب ان نبحث عن جهاز يكون اكبر وزن يستطيع حسابه 150 كيلوجرام مثلا. نحن هنا استعملنا القياس كوسيلة علمية في كيفية تعاملنا مع المشكلة ويتضح فيها انها توافق العقل تماما فلا يستطيع ان يختلف عليها اثنان.

الفكر الإسلامي

وهنا اريد ان اعرف الفكر الإسلامي فهو من المفترض ان يكون مجموعة من الأفكار والمفاهيم والتصورات التي تستند الى أصل شرعي وتلتزم وتنضبط بأحكام الشرع وحدود الله تعالى ولا يتم فيها تجاوز تلك الحدود او المبادئ الإسلامية. ولو حصل هذا التجاوز وخرج الفكر عن الالتزام بأحكام وحدود الله تعالى فلا يمكن اعتباره على انه فكر إسلاميا لأنه خرج من وعاء الإسلام.

المحزن وانا لدي حقيقة تحفظ على كثير ممن يعتبر نفسه مفكرا إسلاميا وانه من اهل الفكر الإسلامي وليس كلهم من باب الانصاف. إلا أن بعضهم حقيقة تحت هذا المسمى لا ترى من المحتوى الذي يقدمه الا إساءة لدين الله تعالى والطعن في أصوله ومسلماته تحت مسميات كثيرة كالتفكير خارج الصندوق مثلا او إعادة النظر في فهم النصوص الشرعية او التجديد في الدين. فمثلا هناك من يدعو الى نسخ حد السرقة بقطع يد السارق كما قال الله تعالى {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} آية (38) سورة المائدة بحجة انها ليست مناسبة لهذا العصر وانه يزعم ان هذا من فقه الواقع. وهناك من ينكر أحاديث نبوية شريفة صحيحة ثابتة بل بعضها متواترة تحت حجة ان عقله لا يقبل ذلك الحديث. ليته استدل بحجة علمية في ان يثبت اشكالا في السند او اشكالا في المتن كما هو معروف ومعتبر عند اهل العلم وخاصة اهل الحديث. بل هناك من تجرأ على ان ينكر بعض من كلام الله تعالى في القرآن الكريم بحجة تنزيه الله تعالى عن خلقه وهو أيضا يحتج بعقله والطامة أنه لا يدرك أنه بذلك لا يقبل بنص شرعي من كلام الله تعالى في القرآن الكريم. وهو للأسف امر ليس بأمر جديد فالذي يقدم العقل على النص الشرعي فقد كان منذ القدم. وعادة ما يتكلمون في نصوص تتعلق بالغيبيات وهو امر

أصلا لا يستطيع العقل ان يدركه فكيف ان يحتج بالعقل في امر لا يستطيع ادراكه العقل أصلا. فمثلا نحن نعلم ان من أسماء الله تعالى القدير وان من صفاته القدرة فهل نستطيع مثلا ان ندرك بعقولنا كمية او كيفية قدرة الله تعالى. بالطبع لا نستطيع فهذا امر لا نستطيع ان ندركه ويجب ان نتذكر اننا مخلوقين وأننا محدودين في كل قدراتنا بما فيها قدراتنا العقلية فلا نستطيع ان ندرك او ان نعلم كل شيء ولا تستطيع عقولنا ان تستوعب كل العلوم وانما لنا سقف لا نستطيع تجاوزه وعلم الغيب هو من العلم الذي اختص الله تعالى به لنفسه ولا نستطيع ان ندرك شيئا من علم الله تعالى الا بإذنه كما قال تعالى {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} من آية (255) سورة البقرة.

فأما ما يتعلق بمسائل العقيدة فأيضا هي من الأمور التي اختلف في فهمها فيما يتعلق بالنصوص الشرعية ولم يحسمها النص فاتسع فيها التأويل خاصة فيما يتعلق في بعض أسماء الله وصفاته. وكان من اهل العلم من أول تلك الآيات اجتهادا ولكن والله اعلم ان المنهج الأسلم هو عدم الخوض في تأويل تلك الآيات كما فعل الامام مالك رحمه الله تعالى لما سأل عن اية {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} آية (5) سورة طه فرد بان الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عند بدعة. فكان منهجه كما كان منهج كثيرا من المتقدمين هو عدم الخوض في تلك الآيات لأنه أصلا في حق الله تعالى وهم من علم الغيب فنحن لا نعلم عن الله تعالى الا ما علمنا إياه في كتابه الكريم وسنة نبينا محمد فنحن نعلم اسماءه التي علمنا إياها ولكن لا نعلم عن الأسماء التي لم يعملنا إياها ولكن نعلم أيضا وهذا معتقد ثابت عند كل المسلمين كما قال تعالى في كتابه الكريم {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} من آية (11) سورة الشورى فنعلم ان من اسماءه العليم ومن صفاته العلم ولكن علم الله تعالى ليس كعلم خلقه سبحانه تعالى ونعلم ان من اسماءه الرحمن الرحيم ومن صفاته الرحمة ولكن رحمة الله تعالى ليست كرحمة خلقه.

ونحن نجهل في بعض مسائل علم الغيب فيما يتعلق بالجن مثلا وهم خلق من خلق الله تعالى ومع ذلك لا نعلم عنهم الا ما علمنا الله تعالى في كتابه الكريم او سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. فهذا مثال فيما نجهله من علم الغيب في بعض من خلق الله تعالى فكيف لا نجهل من علم الغيب فيما هو في حق الله تعالى.

ولمن يريد ان يحتج بالعقل فمن المفترض ان يحتج بأمر كل العقول تتفق عليه فلا يختلف فيه اثنان. فكل الناس مثلا بعقولهم على اختلاف درجاتها تدرك أن اذى الانسان لنفسه او غيره لا يمكن ان يقبله أي عقل سليم او فطرة سوية. فلو مثلا ان يمد الانسان يده الى النار فلن تجد احد عاقلا يقول بصواب هذا الفعل بل يرفضه العقل وحتى سبحان الله ان الانسان لم مد يده الى النار وهو غير منتبه فالجهاز العصبي المتصل بالدماغ يبعث إشارة مباشرة عند شعور خلايا الجلد

بحرارة النار فتأمر الدماغ اليد بان تسحب بشكل غير ارادي حتى لو لم ينتبه الانسان وهذا يؤكد على ردة فعل العقل في أي محاولة للأذى ومثل هذا الاجماع العقلي فلا تجده متناقضا مع دين الإسلام بل موافقا له فكما قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ((لا ضرر ولا ضرار)) [رواه ابن ماجة والدارقطني ورواه مالك] ومثل تلك الأمثلة الكثير الذي يؤكد فيه توافق العقل مع النص والدين. ولكن كما وضحنا سابقا انه ليس كل ما في دين الإسلام يجب ان يوافق العقل بل يوجد ما لا يستطيع العقل ادراكه كما هو في حق علم الغيب.

والذي يزعم انه يستدل بالعقل في تعامله مع النصوص الشرعية الصحيحة فيردها فهو لم يستند الى ما يتفق عليه كل عقل وانما استند الى عقله هو فقط وهواه حقيقة ويعتقد ان بعقله فقط يستطيع ان يدرك كل شيء. ومثل هذا هو مصاب بالكبر حقيقةً لعدم قبوله بالحق فقد قدم عقله حتى على النصوص الشرعية ونسي انه هو وعقله معرض للخطأ والصواب والنصوص الشرعية لا خطأ فيها فهي من علم الله تعالى.

الأخلاق وعلاقتها بالعلم والفكر

اما فيما يتعلق بالأخلاق وهي أيضا من الأمور التي يحاول بعض المفكرين استخراجها من أصلها العلمي المستمد من دين الله تعالى وجعلها منفصلة عن الأديان بل هناك من يقول ان الاخلاق سبقت الأديان. واما الاخلاق هي أيضا من علم الله تعالى فلم ندرك المعاني العظيمة للقيم والمبادئ والأخلاق الا من خلال دين الله تعالى فما تعلمنا من المعاني كمعنى العدل او الرحمة او الصدق وغيرها من الاخلاق الحميدة الا بتعلمنا لكتاب الله وسنة نبينا محمد عليه الصلاة السلام. ويصح أصلا القول باني تعلمت الصدق أي تعلمت معناه وتعلمت العدل أي تعلمت معناه وتعلمت الرحمة أي تعلمت معناها وهنا في الخلق أيضا التطبيق مطلوب وهو الأصل فيه فلا يكفينا تعلم الصدق في دين الله تعالى بل امرنا بان نكون صادقين فيما نقول وهو من الالتزام بأمر الله تعالى. أما محاولة فصل الاخلاق عن الدين في الواقع لا يتمسك به الا اهل الالحاد حتى إذا التزموا بأخلاق وقيم فلا يتم نسبها للدين وانما نسبها للناس وما يتفقوا عليه حتى لا يقعوا في مأزق الرجوع الى الدين. الغريب هو كيف من الممكن ان يقال ان الاخلاق قبل الأديان ونحن نعلم انه منذ ان خلق الله تعالى ابونا ادم عليه السلام وقد امره بأمور ونهاه عن أمور واتباع امر الله تعالى هو التزام بدينه ومما امر به الله سبحانه الناس الالتزام بالأخلاق والمبادئ كالعدل والرحمة والإحسان والبر والحلم والصدق والكرم وصلة الرحم ونهانا عن الفاحشة والبغي والظلم والقتل والسرقة والفساد في الأرض وهذه الأمور امر الله سبحانه وتعالى بها على مختلف الأقوام منذ أبونا آدم الى يومنا بهذا بالالتزام بها وانها من الدين الذي امر به سبحانه فالالتزام بالأخلاق هي من العمل الصالح

الذي نسعى الى مرضات الله تعالى به ولما بعث الله سبحانه وتعالى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقد اتى كما قال عليه الصلاة والسلام ((انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)) [رواه أحمد، ومالك، والبخاري] وهذا يوكد على ان الاخلاق من الدين وانها كما تعرضت الرسالات التي تعرضت للتحريف والتشويه والقول على الله تعالى بغير علم فأيضا قد تشوهت بعض الاخلاق بل كان هناك من الاخلاق الذميمة ما هو مشهور ومعمول به في الجاهلية كالعصبية القبلية ووأد البنات فقضى عليه الإسلام واكد على مكارم الاخلاق وتممها وافضل مثال في الاخلاق كان نبينا وقدوتنا محمد عليه الصلاة السلام الذي وصفه الله سبحانه وتعالى {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} آية (4) سورة القلم وكما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بان خلقه القرآن عليه الصلاة والسلام [رواه مسلم] وهذا يؤكد على أن كان في فعله تطبيقا لمبادئ وأخلاق القرآن التي أمر الله تعالى بها.

الحركات الإسلامية والفكر السياسي

لا شك ان كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة هي حركات بذلت مجهودا كبيرا في الدعوة والنشاط في مختلف الأصعدة خاصة محاولتها حل المشاكل السياسية. لكن لنعود لأصل التسمية لتلك الحركات فلا شك أيضا ان تلك الحركات سواء عملت في مجال ما كالمجال السياسي فقد نسبت نفسها الى الإسلام بوصف نفسها انها حركة إسلامية وعلى هذا وبهذا فالانتساب للإسلام فله تبعاته فكل ما يوصف بانه إسلامي فالمفترض انه ملتزم ومنضبط ولا يتجاوز احكام ومبادئ وحدود دين الله تعالى الإسلام. بل الحركات الإسلامية تزعم انها تلتزم بحدود الشرع كأسس ومبادئ وقواعد ثابتة وهذا امر طيب وانا مع كل حركة إسلامية تدعو الى الالتزام بدين الله تعالى في أي مجال كان. فدين الإسلام هو نظام رباني كامل لا خطأ فيه وهو حاكم على كل الأمور والمجالات فالإسلام حاكم على السياسة والنظام السياسي والاقتصاد والفرد والمجتمع والحياة. لكن اصبحنا نرى أيضا بعض الحركات التي تعتبر نفسها انها حركة إسلامية او تقول انها ذات مرجعية إسلامية ثم تجد انها لا تلتزم بشرع الله تعالى في بعض الأمور وتجدها تتنازل عن بعض المبادئ الإسلامية الثابتة تحت مبرر الضغط السياسي او ان هذا مما لا يريده الشعوب او انه غير مناسب للعصر الحالي او تحت أي مبرر كان فالأصل انها طالما لم تلتزم بكل ما في الشرع فلا تصف نفسها بانها إسلامية والا فهذا لا يمكن ان يوصف الا محاولة للتحريف في دين الله تعالى وهنا اعود وأقول اننا كمسلمين لا يحق لنا ان نأخذ ما نريد ونترك ما نريد من دين الله تعالى والا فسيصدق فينا قوله تعالى {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} من آية (85) سورة البقرة وهنا أدعو تلك الحركات إما العودة إلى الحق وإلى الالتزام بدين الله تعالى وإن لم ترد ذلك فلتصرح أنها ما

عادت تلتزم بكل احكام وحدود دين الإسلام ولتصف نفسها بأنها لم تعد حركة إسلامية وتنسب حركتها لشيء اخر.

البعض أيضا من المفكرين الإسلاميين وبعض الحركات الإسلامية في المجال السياسي دعوا الى تبني النظام الديموقراطي (Democracy) وإذا أردنا ان نتعامل مع النظام الديموقراطي بتعريف مبسط فنستطيع ان نقول انه ينقسم الى جزئين رئيسيين. الجزء الأول هو فيما يتعلق بعملية انتخاب الحاكم لأي مجتمع ما فيكون ذلك باختيار غالبية الشعب لمرشح من المرشحين وذلك بجمع أصوات افراد الشعب واختياراتهم ومن يجمع العدد الأكبر من الأصوات كمرشح للحكم من الشعب فيصبح حاكما. وهذا القسم لا اشكال فيه بحيث انه في النهاية ان اعتمد مثل هذا النظام فبه تختار الشعوب من تريد ان يكون قائدا لها ويكون مرضيا عندها وهو امر مستحسن وبالطبع هو أفضل من أن يحكم الشعوب ظلمة مستبدين. وقد يكون الإنتخاب له وجه بحالة مشابهة في فترة الخلافة الراشدة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولما انتهى الأمر في الاختيار بين عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما فكان عبد الرحمن بن عوف حكماً رضي الله عنه يستشير الناس في اختياره وبعد جمعه لمشورة كثير من الناس حكم بان تكون الخلافة لعثمان بن عفان رضي الله عنه. لكن معلوم أيضا في الإسلام أنه يوجد نظام الشورى عند المسلمين كما قال الله تعالى {وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ} من آية (38) سورة الشورى وان لم نرى له تطبيقا له الا في فترات قصيرة كما في فترة الخلافة الراشدة كما حصل مثل مبايعة أبو بكر الصديق رضي الله عنه فبايعوه من يعرفهم أهل العلم بأهل الحل والعقد وهؤلاء من يمكن وصفهم بأنهم مجلس الشورى او غيره ولهم صفات وشروط معينة حتى يتم اعتبار أي شخص انه من اهل الحل والعقد وهذا يرجع فيه الى أهل العلم الشرعي لتحديد تلك الشروط. لكن ما يعرف من صفات عامة لأهل الحل والعقد انهم يجب ان يكونوا أهل خير وتقوى وصلاح وإيمان وعلم وكفاءة وانهم أهل جاهة وخلق ولهم مكانتهم عند الناس. والميزة في مثل هذا المجلس المصغر الذي في الواقع يكون أفضل ممثل للامة الإسلامية فاختيارهم للحاكم يكون أقرب للصواب فكل صوت فيهم هو صوت حكمة وعلم وصلاح ولكن إن جعلت الصوت يكون لكل الناس فيأخذ الصوت من الجاهل والعالم والفاسد والصالح وكل ما في المجتمع من اشكال وهذا لا يمكن ان يكون في صوت من اصوات مجلس الشورى او أهل الحل والعقد ولو وجد هذا الصوت لتم عزله لضمان العدل.

الجزء الثاني من النظام الديموقراطي هو الذي فيه الاشكال الحقيقي فيما يتعلق بتعارضه مع الإسلام وأحكامه وهذا الجزء الذي ينص على أن من حق الشعب أيضا ان يختاروا التشريع الذي يريدوا ان يحتكموا اليه. الان ان كنا نتكلم عن مجتمعات ملحدة او مجتمعات تؤمن بأديان محرفة

فمن الممكن فهم ذلك الامر بالنسبة لهم كونهم لا يستطيعوا ان يستمدوا تشريعهم من دين محرف أو أن يستمدوا تشريعهم من دين لا يؤمنوا به. لكن هذا لا ينطبق على المجتمعات المسلمة فالمسلمون ايمانهم بالله تعالى رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً يقتضي الايمان بما أمر الله تعالى وشرعه ويقتضي الايمان بحكم الله تعالى وحدوده فقد قال الله تعالى {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} من آية (40) سورة يوسف وقد قال الله تعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} آية (65) سورة النساء وهنا ندرك أننا كمسلمين لا نملك الحق أصلا في اختيار ما نريد من شرع الله تعالى وترك ما نريد والا فهناك أصلا اصبح لدينا اشكال في ايماننا بدين الله تعالى فكيف نؤمن بدين الله تعالى وحكمه وحدوده ثم لا نقبل أن نتحاكم الى تلك الحدود فإيماننا بها يقتضي ان نرضى بحكم الله تعالى كاملا ولا نختار فيه على هوانا. وعلى هذا فالمجتمعات المسلمة والمسلمون عامة مقتضى إسلامهم وإيمانهم انهم أصلا قبلوا بشرع الله حكما عليهم. وفي النهاية إن أردنا أن نستفيد من أي وسيلة أو أداة فلا مانع في ذلك إن كان لا يخالف أمرا من أحكام الشرع. وإن تعاملنا مع أي من تلك الوسائل فوجدنا ان جزءا منها لا يخالف الشرع وفيه فائدة فنستطيع ان نأخذ به أما ما كان من تلك الوسيلة ما فيه مخالفة لدين الإسلام واحكامه فالواجب علينا كمسلمين أن نرده ولا نأخذ به لأننا نحتكم الى شرع الله فهو الحكم على ما نأخذ به وما نرده ونرفضه.

وأما في قول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ((أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)) [رواه مسلم، وأحمد، وابن ماجه] فإن أردنا ان نلتزم بهذا النص بحيث نستطيع أن نتخذ ما هو الأفضل والأنسب لنا من وسائل وأدوات في أمور دنيانا لكن على شرط بقاء تلك الأدوات في دائرة ونطاق المباح والحلال ولا يمكن أن يفهم من قول رسولنا عليه الصلاة والسلام أن بإمكاننا أن نأخذ من تلك الأدوات ما فيه مخالفة لشرع الله لأنه يبقى أمور الدين هو ما نحتكم اليه في أمور دنيانا فكما قلنا فدائرة المباح والحلال متسعة وقد نستعمل الكثير من الوسائل في تلك الدائرة التي بالطبع لن تتعارض مع شرع الله تعالى أما ما كان من تلك الوسائل ما هو في دائرة ما حرم الله تعالى فلا خير في تلك الوسائل.

تعامل أهل العلم مع أهل البدع

ويجب ألا ننسى تعامل أهل العلم مع أهل البدع في مختلف الأوقات. فأهل البدع لم يأتوا فقط في كثير من الأمور مما لا علاقة بالإسلام به وينسبوها اليه. وانما في بعض الأوقات كانوا يستندون الى نصوص الشرع من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد لكن يحرفون في مفهوم تلك النصوص لتناسب هواهم وما يريدون أن ينسبوه الى دين الله الاسلام ولا يأخذوا بالمعاني الصحيحة لتلك النصوص فيرد عليهم أهل العلم ويبينوا ضلالهم وكيفية تحريفهم لمعاني النصوص وفهمهم

للنصوص فهما باطلا بالدليل والحجة. وعلم أغلب المسلمين بضلالهم بحمد الله تعالى ولذلك اندثر أغلب تلك الجماعات وأفكارها ومفاهيمها الفاسدة. وانا أدرك انه سيأتي من يدافع عن أهل البدع بحجة ان ما صدر منهم يتسعه الفكر والحركات الفكرية وأن فهم اهل البدع للنصوص انما هو رأي ووجهة نظر بل وحتى قد يصفه البعض بانه اجتهاد. فبعض المنحرفين يريد ان ينسب حتى المفاهيم الفاسدة الواضح بطلانها ليس فقط عند أهل العلم بل حتى عند اغلب المسلمين الى مظلة الفكر المقبول والآراء الفكرية المقبولة. وهذا لا يمكن ان يقبل لأنه ان قبلنا فهذا يعني اننا نقول هذا الفهم الباطل من الممكن ان يكون صحيحا وهنا نناقض أنفسنا لأننا لم نلتزم بالمعنى الصحيح للنص الشرعي. كيف نقول عن فهم فاسد يراد به هوى ولا يقصد به رضا الله تعالى ولا يستند فيه الى دليل علمي بانه فهم مقبول. وهناك من يحاول ان يجعل فهمه الفاسد ويصوره بانه قد يحمله وجه من معاني اللغة العربية في النص الشرعي. فما هو معلوم ان ما اختلف فيه بين اهل العلم في فهم بعض النصوص الشرعية التي ليست بمحكمة وانما من المتشابه كما قال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} من آية (7) سورة آل عمران فهنا قد يقبل الاختلاف في فهم النص ان كان يستند الى دليل بان يحمل وجها من معاني اللغة العربية المستعملة. أما إن فهم النص وفي هذا الفهم لم يُأخذ بأي وجه من معاني اللغة العربية فلا يمكن أن يقبل وانما يجب ان يبين انه فهم خاطئ وباطل للنص من أهل العلم. سأعطي مثالا على كلمة العين مثلا ولنقل انها استعملت في أي جملة ما فكيف نفهم تلك الكلمة. العين من معانيها في اللغة العربية هي عين الانسان وهو العضو الذي يرى به الانسان الأشياء وأيضا من معاني العين عين الماء وأيضا قد يقصد بالعين أي النفس فمثلا إذا قلت أخذت القلم عينه أي أخذت القلم نفسه وهكذا. من مفردة كلمة العين في اللغة أدركنا انها قد يقصد بها أكثر من معنى في اللغة ولذلك إذا رجعنا لاستعمال الكلمة في أي جملة فنستطيع ان نأخذ بأحد تلك المعاني. ولكن لا أستطيع مثلا أن افهم كلمة العين بمفهوم يخالف معاني واستعمالات تلك الكلمة في اللغة العربية وبذلك من الطبيعي ان يرد علي باني لم افهم كلمة العين على وجهه الصحيح وهذا من بيان الحقيقة. وعلى هذا قد نرى اختلاف أهل العلم في فهم آية كريمة ليست بمحكمة فهنا أهل العلم قد يفهموا تلك المفردات من الآية الكريمة على أكثر من وجه.

ما يسمى بالحرب الفكرية

وهناك كثير من الناس من يردد بأننا في حرف فكرية فيجب أيضا ان نحارب الفكر بالفكر. هذا من الممكن قبوله إن كان في أمر لا يتعلق في الإسلام لكن إن كانت حربا على الإسلام فالإسلام دين علم من عند الله تعالى وإن حورب بفكر فيرد على هذا الفكر بالعلم الشرعي المستند الى

النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ويرد على كل فهم باطل للإسلام ببيان المعاني والمقاصد الصحيحة للإسلام. فلن تكون وظيفة المسلمين أكبر من وظيفة الرسل وهو البلاغ المبين كما قال الله تعالى {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} من آية (35) سورة النحل ومن بلاغ الدين ان نبين للناس جميعا حقيقة ومبادئ وقيم واخلاق والمعاني المستمدة من دين الإسلام ونرد على كل من حاول ان يحرف ولو حتى بأمر من احكام ومبادئ الإسلام ومعانيه الى مفهوم باطل. فنعلم مثلا ان في المجتمع الغربي يعتبرون ويفهمون الجهاد على انه إرهاب وتطرف وقتل بغير حق وتدمير وغيرها من المفاهيم الباطلة ونحن نعلم كمسلمين ان الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام كما وصفه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وهو عزة للإسلام ولا قتال او قتل فيه بغير حق وانما القتال فيه بالحق ولا عدوان فيه ولا غدر فيه وفيه العدل والقسط والرحمة وتمييز المسالمين من المقاتلين من أهل الكفر وفيه عدم التعرض للنساء والأطفال بل حتى عدم التعرض للحجر والشجر وعدم الإفساد في الأرض والجهاد له شروطه وضوابطه التي وضعها الشرع فهذا ما تعلمناه في الجهاد في سبيل الله تعالى وليس ما يفهمه أعداء الإسلام ويتهموا به كذبا هذا الدين العظيم.

الغلو وعلاقته بالفهم الفاسد

وهناك بعض الحركات التي تعتبر نفسها حركات إسلامية التي وقعت في الغلو في الإسلام فخرجت عن حدوده واحكامه. فهم ينادون بالالتزام بالشرع والنصوص الشرعية والسنة ثم تجدهم فيما يفعلون ابعد ما يكون عن الالتزام بالدين وهنا يشك حتى البسطاء من المسلمين في فهم هؤلاء لدين الله تعالى فتجدهم يكفرون الناس بغير حق ويعتبروهم مرتدين عن الدين ويستبيحون دمائهم ولا تدري كيف ومن أين يستدلون وان استدلوا بأية كريمة أو حديث عن رسول الله فتدرك ان فهمهم للآية أو للحديث فهما فاسد وهم بعيدون عن المعنى الصحيح لتلك النصوص. فالجهاد مثلا هو ذروة سنام الإسلام كما وصفه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لكن الجهاد أيضا له ضوابط وشروط هي أيضا من شرع الله تعالى فيجب الالتزام بها فكان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يأمر المجاهدين المقاتلين من الصحابة رضي الله عنهم بعدم التعرض للشجر والحجر عدوانا فما بالك بأرواح الناس التي لم تقاتل حتى لو لم يكونوا مسلمين. فللأسف وقع من هؤلاء الغلاة بأن يقتلوا الناس بغير حق ثم يقولون انه جهاد في سبيل الله والجهاد بريء من ذلك.

مقارنة المفكرين الإسلام بغيره من الأديان

تسمع من بعض المفكرين من يقارن الإسلام بالأديان الأخرى والعصور الإسلامية باختلافها بالعصور الصليبية في اوروبا مثلا. وهناك من يزعم انه كما ثارت المجتمعات الأوروبية على

الكنائس والحكم الكنائسي ورجال الدين من الكهنة فانه سيحصل ثورة في المجتمعات الإسلامية على العلماء والحكم الإسلامي. وفي هذا الزعم بطلان في أصله أولا فمن يزعم بذلك يريد أن يقول أن الإسلام والعلماء دعوا الى الاستبداد باسم الدين كما استبد الكهان في الكنائس باسم الدين المسيحي في العصر الصليبي الأوروبي. في الأصل نحن نعلم ان دين الإسلام حفظه الله تعالى من التحريف بحفظه لكتابه الكريم وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} آية (9) سورة الحجر على عكس ما وقع في النصرانية واليهودية الذي حرف فيه كهنتهم في الأصل من النصوص الموجودة في التوراة والانجيل فلا يصح وليس من الإنصاف بأن تحكم بالفشل في الدين المحرف ثم تسقط نفس الحكم في حق الدين الغير محرف وعلى هذا لا يمكن ان نقول بان الدين النصراني الذي حرفه الكهنة وحكموا به وظلموا به شعوبهم باسم الدين وهم كذبوا في الدين وحرفوا اصل النصوص في الكتب التي انزلها الله سبحانه وتعالى لهم ولو أصلا التزموا بالدين الذي أنزله الله تعالى على نبينا عيسى لما حصل لشعوب أوروبا من الظلم ما حصل بل بالعكس تماما لحكموا بالعدل والأخلاق والمبادئ ولاستمروا في حكمهم ولاهتدوا للإسلام لان نبينا عيسى عليه السلام بشر بنبينا محمد عليه السلام ومعلوم عندنا أيضا ان القران نسخ ما قبله من الشرائع والكتب. ولكن هذه سنن الله تعالى في كل دولة ظالمة وعلى هذا أصبح لا حل عند تلك الشعوب إلا أن تثور على ذلك الدين المحرف ومن كان سببا في تحريف الدين.

أما فيما يتعلق بالإسلام فما استطاع أحد ان يحرف في كتاب الله تعالى أو في سنة نبينا محمد الصحيحة الثابتة ولذلك لا يمكن ان يكون هناك حاكم يحكم بشرع الله تعالى ويكون ظالما لأن من الحكم بشرع الله تعالى هو الالتزام بالعدل وعدم الظلم والفساد في الأرض فهذا مما أمر به الله تعالى. وهناك سيقول انه كان يوجد حكام مستبدون حتى في بعض فترات الخلافة الاسلامية كالأموية والعباسية والعثمانية وأن كان لديهم علماء سلطان يزينوا لهم سوء عملهم. والجواب فيما قلت ان هذا الحاكم المستبد الظالم الجائر لم يلتزم بشرع الله تعالى وبأحكام دين الإسلام وإلا لو التزم لما وقع في الظلم وأن عالم السلطان لم يتلزم بشرع الله تعالى ولكن هو أيضا لا يستطيع ان يحرف النصوص لأنه سيفضح نفسه بذلك فيختار ان يقوم بتحريف المفاهيم لبعض النصوص الشرعية حتى يرضي الحاكم وهذا يكون قوله باطل لأنه أصلا لو اعطى المعاني الصحيحة للنصوص وذكر الاحكام كما هي في الإسلام لادرك الحاكم ظلمه. وحتى اقوال علماء السلطان ومحاولاتهم للتحريف في المفاهيم رد عليها اهل العلم في كل زمان وأوضحوا بطلانها بالدليل والحجة فلم ينجح علماء السلطان لا بتحريف النصوص الشرعية ولا حتى في تحريف فهم النصوص عن المعاني الصحيحة. وعلى هذا من يحتج ان هناك قد وقع ظلما عند المسلمين فليعلم

ان ذلك الظلم سببه عدم الالتزام بدين الله تعالى ووقتها لا يمكن حل الظلم بالتخلي عن الدين وانما حله بالعودة الى دين الله تعالى والالتزام به.

وأريد ان اذكر نقطة ان أعداء الإسلام في كل الأوقات ما استطاعوا ولن يستطيعوا ان يحرفوا في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. ولذلك عملوا وما زالوا يعملون على تحريف مفهوم النصوص الشرعية عن معانيه ومقاصده المعلومة عند أهل العلم. فهم يأتون مثلا بأية كريمة ثم يفسرونها بتفسير باطل وفهم فاسد ليس له وجه حتى في استخدامهم لأوجه ومعاني المفردات في اللغة العربية فيرد عليهم من أهل العلم بالمعاني الصحيحة والمقصودة في النص الشرعي ويثبتون ذلك بالدليل العلمي والحجة ويبينون بذلك بطلان هذا الفهم الفاسد للنص الشرعي.

استعمال مصطلح الايدولوجية

الغريب ان بعض المفكرين يستعمل هذا المصطلح كبديل لمصطلح الفكر والكلمة ايدولوجية وهي كلمة انجليزية (ideology) مستمدة من كلمة (idea) وتعني فكرة بل حتى أصبحنا نسمع كلمة مأدلج أي متأثر بفكر ما. الأمر الغريب أني لم افهم ما حاجة تعريب تلك الكلمة وهي أصلا موجودة لدينا واللغة العربية من أغنى اللغات في العالم في المفردات والمعاني فلماذا نستعمل تلك المصطلحات التي لا حاجة لنا فيها أصلا فنستطيع ان نصف المصطلح بالفكر وهي كلمة عربية خالصة.

لكن أردت طرح تلك الكلمة لأتطرق لموضوع مهم وهو تعامل المجتمع الغربي مع الإسلام كدين. فكما هو معلوم ان المجتمع يعتبر الإسلام ليس بدين من عند الله فهو لا يؤمن بذلك وانما يزعم ان الإسلام هو فكر من تأليف النبي محمد عليه الصلاة والسلام وان الإسلام هو ايدولوجية اتى بها محمد عليه الصلاة والسلام وهذا مفهوم ممن لا يؤمن بالإسلام بأن يكذب بالدين. ونحن كمسلمين نعلم ان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام انما بعث نبيا ورسولا ورحمة للعالمين وان الله تعالى أوحى لنبينا من علمه سبحانه وتعالى تعاليم دين الإسلامي بالكتاب والسنة فقال تعالى {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)} آية (3) و (4) سورة النجم. وكما وصف كفار قريش نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بأنه شاعر وساحر واتهموه بالكذب وغيرها من التهم وكلها باطلة حتى ينكروا ما أوحى الله سبحانه وتعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام من علم في دين الله تعالى لأنهم لو اعترفوا بذلك فلن يصبح لديهم حجة لعدم الايمان ولذلك يريدوا ان يتحججوا فيكذبوا على رسول الله ويصفوه بما ليس فيه وهذا ما وقع ويقع فيه أيضا المجتمع الغربي.

تحت نتاجات الفكر: وصف الإسلام وتعدده

هناك أصبح يتكرر كثيرا تحت نطاق الفكر وصف الإسلام وكأنه متعدد وهذا امر عجيب فنحن لا نتكلم عن المجتمع الغربي وان كان في بعض المصطلحات هي صادرة منهم في البداية ولكن الأعجب ان تلك المصطلحات أصبحت متداولة لدى بعضنا كمسلمين بل حتى عند بعض من ينتسب الى الحركات الإسلامية والمفكرين الإسلاميين على انه مصطلح مقبول. فهل يوجد ما يسمى بالإسلام السياسي وهل هذا يقتضي أن هناك الإسلام اللاسياسي؟!. هل يوجد الإسلام الليبرالي أم الإسلام الاشتراكي أوهل يوجد الإسلام الجهادي؟!. هل يوجد الإسلام المعتدل وهل هذا يعني ان هناك ما يسمى الإسلام المتطرف؟!. هل يوجد ما يسمى بالإسلام الأموي او الإسلام العباسي بحيث الزعم أن الخلافات الإسلامية قد حرفت بدين الله الإسلام وجعلته على هواها ؟!. هذا من الكلام الخطير جدا ومن التجرؤ على مسمى دين الله تعالى الذي سماه ربنا سبحانه وتعالى الإسلام كما قال الله تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} من آية (19) سورة آل عمران وقال الله تعالى {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آية (85) سورة آل عمران

من حيث المبدأ يجب ان ندرك ان هناك أصلا خطا في التسمية الاصطلاحية فنحن ننسب هذه المسميات الى دين الإسلام نفسه وهذا لا يصح خاصة في بعض المصطلحات التي لا علاقة لها بالإسلام أصلا كالاشتراكية والليبرالية والعلمانية وغيرها. وأيضا من الخطأ ان يوصف الإسلام فقط بجزء من أجزاءه كالجهاد في سبيل الله مثلا مع العلم ان من استعمل هذه المسمى يقصد الطعن بالإسلام كدين والجهاد كمبدأ إسلامي عظيم كما سنوضح لاحقا. الغريب والذي للأسف لا يدركه الكثيرون ان هدف هذه التسميات في كثير مما نسب ووصف الإسلام به يقصد به ان يجعل الناس تتوهم في أن الإسلام أصبح مجموعة من الأديان او أن الإسلام له صور كثيرة ومختلفة بل وأيضا متناقضة في كثير من الأوقات وان كل إسلام له صفته التي اتصف بها وهو يختلف عن غيره من الصور الاخرى.

اليس هذا من التجرؤ على دين الله تعالى بحيث يوصف دين الإسلام بانه اشكال وصور كثيرة وان ينسب اليه في بعض المسميات ما ليس فيه او ان يسمى ببعض المسميات ليقصد فيه ان قد وقع فيه التحريف وغيرها من الأسباب والغايات الباطلة. قد يقع بعض الناس بهذا الخطأ بغير قصد خاصة في حال لما يوصف الإسلام بجزء من اجزاءه ولكن حتى هذا لا يمكن قبوله لأنه فيه اختزال لدين الله تعالى فقط بجزء من اجزاءه ونحن نعلم ان دين الله هو نظام رباني كامل يشمل كل مجالات الحياة ويحكمها بشرع الله. ما هو معلوم حقا كما قال الله تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} من آية (19) سورة آل عمران هذا الدين هو دين واحد وهو دين الحق لا باطل فيه وكل ما هو باطل فليس من الإسلام بشيء.

للتطرق لبعض المسميات التي للأسف أصبحت تتكرر فمثلا ما يتم تسميته بالإسلام السياسي فمن حيث الأصل هناك خطأ في التسمية الاصطلاحية والصحيح ان يقال السياسة الإسلامية او السياسة في الإسلام او السياسة الشرعية كما تستعمل عند اهل العلم. ومن هنا يتم الادراك ان المقصود هو السياسة التي تكون محكومة وملتزمة ومنضبطة بأحكام ومبادئ دين الإسلام التي هي أحكام الشرع وأي تجاوز في أي سلوك او تطبيق سياسي لتلك الاحكام والحدود التي وضعها الله في هذا الدين فلا يمكن ان يطلق عليه بانه من السياسة الشرعية. والحركات الإسلامية التي نشطت في المجالات السياسية المفترض ان يكون هدفها هو ان تكون الممارسة السياسية منضبطة بأحكام ومبادئ الإسلام والا لما اعتبرت حركات إسلامية.

هناك من قال بوجود الإسلام الاموي مثلا ويقصد بذلك غاية خبيثة وباطلة بان دين الإسلام حرف من الخلفاء الامويين أو بعضهم فهو يزعم بأنهم دسوا أحاديث موضوعة ونسبوها الى نبينا محمد عليها الصلاة والسلام لكي يتم جعلها من دين الله. انظر الى هذا الزعم الخطير جدا وما هي أدلته وحججه على ذلك الزعم الباطل. ولكن نرجع لنقول إنك يجب ان تتعامل مع مسمى دين الله الإسلام كمصطلح شرعي ولا ينسب اليه من يزعم بأمر ما ويصف الإسلام به فهذا الزعم الباطل بأن هناك ما يسمى بالإسلام الأموي فما يحاول الا ان يقول ان الخلافة الاموية حرفت دين الإسلام وجعلتها على هوى بعض خلفاءها وهذا ليس فقط اتهام للخلافة الأموية بتحريف دين الله بل أيضا اتهام لدين الإسلام بأنه حرف من قبل وانه قابل للتحريف من أي كان وهذا اتهام عظيم جدا وفيه تجرأ على دين الله بالباطل والمحزن حقا ان يصدر هذه الاقوال ممن يزعمون انهم مفكرون إسلاميون. والمشكلة انهم لم يأتوا بدليل علمي أو حجة يستطيعوا ان يحتجوا بها على اهل العلم وانما فقط يحتجوا بعقلهم الذي بزعمهم ان عقولهم هي حجة كافية. فإن من يزعم ان هناك من حاول ان يحرف في الدين بوضع نصوص مكذوبة على رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وهذا معلوم شرعا بانه الكذب على رسول الله. فاذا قيل انه ثبت ان هناك حديثا موضوعا ومكذوبا على رسول فكيف يوصف الإسلام به بل يوصف بانه كذب على رسول الله ومحاولة للتحريف في الإسلام وهذا قد قام به اهل العلم في كل الازمان في بيان كل ما هو كذب على رسول الله وما هو موضوع ولم يقله رسول الله بل كانوا يبينوا للناس من الوضاعين والذين كذبوا على رسول الله.

ويجب أن لا ننسى ان كثير من هذه المسميات الباطلة مثل الإسلام الجهادي او الإسلام الليبرالي او غيرها هي اطلقت أصلا من المجتمعات الغربية بمثقفيها وإعلامها فمثلا لما يطلق الإسلام الجهادي يقصد به الغربي الإرهاب والتطرف وقتل الناس بغير حق ويريد قصدا ان ينسبه للإسلام وللجهاد في سبيل الله حتى يحاولوا ان يشوهوا المعاني العظيمة لمصطلح الجهاد في سبيل الله

الذي هو ذروة سنام الإسلام وله احكامه وحدوده وضوابطه التي حددها الشرع وهو بريء من قتل الناس بغير حق والاجرام .وأيضا يحاولوا ان يشوهوا مسمى دين الإسلام بأن يزعموا ان دين الإسلام هو من يدعو الى استباحة دماء الناس وقتلهم بغير حق وقتل كل من هو غير مسلم وغيرها من التهم الباطلة.

أما مثلا فلما يقال الإسلام الليبرالي فهذه الصورة التي يحاول المجتمع الغربي ان يمررها بحيث ان ينسب الى دين الإسلام ما ليس فيه. فالإسلام حفظ حقوق الناس وحريتهم والحرية في الإسلام معناها واضح بحيث ان الانسان حر في كل ما هو في نطاق المباح والحلال لكنه ليس حر في ارتكابه للمعصية فهنا يتعامل معه بأحكام الشرع فلا يمكن ان الانسان حر في ان يقتل مثلا فهذا لا يقبل به حتى بالتعريف والمفهوم الفاسد للحرية في الليبرالية فالحرية التي عرفت في الليبرالية هو تعريف مشوه وباطل للحرية واكبر مثال على ذلك عندما ترى تطبيقات الحرية الليبرالية فتجد بانها تسمح بحرية الإساءة الى الأديان والى الرسل والى الله تعالى تحت غطاء حرية التعبير عن الرأي فكيف من الممكن ان يوصف الإسلام بفكر غربي فاسد.

ولذلك لما نقول الاقتصاد الإسلامي مثلا فمن الواضح المقصود به هو الاقتصاد الملتزم والمنضبط بأحكام الشرع ودين الله الإسلام. أو لما مثلا يقال الفكر الإسلامي فانه من المقترض أن يقصد به الفكر الملتزم بمبادي واحكام دين الإسلام ولا يتجاوزها او يتجاوز حدودها والا خرج هذا الفكر من نطاق دائرة الإسلام.

ولو شئنا جدلا ان ننسب تصورا او مفهوما للإسلام من شخص ما او حركة ما او فكر ما فالمفترض ان تسمى بالتصور الفلاني للإسلام او ما شابه وبهذا نستطيع ان ندرك ان هذا التصور ليس ملتصقا ومنسوبا لدين الله تعالى بل هو الفهم لهذا الدين وهذا الفهم هو معرض للخطأ والصواب لأنه نتاج بشري.

الخاتمة

أريد ان أختم بالتذكير اننا لما نتعامل من النصوص الشرعية يجب ان ندرك انه إن حصل لنا اشكال في الفهم فيجب ان نعود الى أهل العلم كما قال تعالى {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} من آية (43) سورة النحل حتى يحل لدينا الاشكال في فهمنا ويتبين لنا المعنى المقصود في نصوص الشرع. يجب ان ندرك أننا معرضون للخطأ في فهمنا وعملنا فلا ننسب الخطأ الى دين الله تعالى وانما ننسب الخطأ الى أنفسنا وننزه هذا الدين العظيم مما ارتكبنا في حقه من اعمال ونسأل الله تعالى ان يغفر لنا خطايانا وان لا يجعلنا فتنة للكافرين كما قال تعالى {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَاۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آية (5) سورة الممتحنة. ولما نتعامل مع سنة رسول الله تعالى فيجب ان ندرك انها أيضا مما امر الله سبحانه وتعالى بالالتزام به كما امر بالالتزام بأمره سبحانه وبكتابه الكريم فقال سبحانه وتعالى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} من آية (7) سورة الحشر فهنا نعلم ان أمر رسول الله هو من أمر الله تعالى بل وأيضا ان في سنة نبينا ما هو بيان وتفصيل لكتاب الله تعالى فالله أمرنا بإقام الصلاة كما قال تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} من آية (43) سورة البقرة ولكن لم نعلم كيفية الصلاة الا بإتباع سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو عليه الصلاة من علمها للصحابة الكرام ثم الصحابة علموها التابعين ثم من جيل الى جيل حتى بلغنا ولله الحمد والشكر. اما في حق أهل العلم فنحن نعلم انهم ليسوا معصومون من الخطأ كما عصم الله تعالى الأنبياء من الخطأ في تبليغ دين الله تعالى. ولكن هم أقرب ما يكونوا الى الصواب في فهم أمور دين الإسلام كيف لا وهم من أعطوا كل وقتهم وحياتهم لدراسة وتعلم دين الله تعالى بتعلم كتابه وسنة نبيه وتعلم العلوم في الحديث والفقه والتفسير وقدموا سنين حياتهم لخدمة هذا الدين وتعلمه وتعليمه والدعوة اليه. ثم نأتي نحن ونقارن أنفسنا بهم ونقول ان رأينا لا يقل عن اجتهادهم ونخالفهم ونريد ان نفهم دين الله تعالى على هوانا. كيف نقبل ذلك على أنفسنا ونحن نعلم انا لم نقم ولا بعشر او حتى بعشر العشر مما قدموه من جهد وجهاد في تعلم أمور هذا الدين وخدمته ونعتبر أنفسنا اننا أفهم بدين الله تعالى منهم. هذا كلام لا يقبله أي عقل فكما لا نقبل ان لا نعمل عملية جراحية في القلب إلا عند طبيب متخصص وخبير وله سنين طويلة في تعلم مهنة الطب والتخصص في جراحة القلب والممارسة والخبرة الطويلة لسنين في اجراء العمليات الجراحية للقلب فمن المستحيل ان نقبل ان يقوم بهذه العملية مثل مهندس له خبرة عشرون سنة في دراسة الهندسة والعمل به بل حتى لا نقبله من طبيب خبير لكنه ليس بمتخصص في جراحة القلب فكيف نقبل على انفسنا ان نقارن انفسنا بمن هم اهل للعلم والاختصاص في دراسة العلم الشرعي والذين أيضا ربما قضوا عشرون وثلاثون سنة واكثر في طلب العلم الشرعي ونأتي ونساوي أنفسنا بهم. أبداً هذا ليس من الإنصاف والعدل بشيء بل لهم مكانتهم ونحن علينا اتباعهم لأنهم اعلم منا بأمور الدين وان أردنا ان نصبح منهم فلنسلك طريقهم ولنقدم ما قدموه من جهد في طلب العلم الشرعي.

واختم أخيرا بالتذكير باني معرض للخطأ فيما كتبت وفيما قلت وقد أكون مخطئا في فهمي ورأيي في بعض ما كتبت فليأخذ مني ما صح من الكلام وليرد ما صدر مني من خطأ وانا لست الا مسلما من المسلمين لكني أحب هذا الدين العظيم وأحب الله سبحانه وتعالى أولا وأحب رسوله نبينا محمد عليه الصلاة وأحب اهل العلم والذكر والخير والصلاح وأحب الصالحين ولست منهم. وما كتبته فقد كتبته محاولة مني لبيان بعض الأمور التي أراها مهمة فيما يتعلق بدين الله تعالى وأسال الله تعالى ان يقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه سبحانه وتعالى واستغفر الله تعالى فيما ان وقعت في خطأ فيما قلت وكتبت. هذا والله تعالى أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

المحتوى	الصفحة
المقدمة	3
تعريف العلم	4
أصل العلم	5
التفكر	8
تعريف الفكر	8
الفرق بين الفكر والفقه	10
الفكر الإسلامي	12
الأخلاق وعلاقتها بالعلم والفكر	14
الحركات الإسلامية والفكر السياسي	15
تعامل أهل العلم مع أهل البدع	17
ما يسمى بالحرب الفكرية	18
الغلو وعلاقته بالفهم الفاسد	19
مقارنة المفكرين الإسلام بغيره من الأديان	19
استعمال مصطلح الايدولوجية	21
تحت نتاجات الفكر: وصف الإسلام وتعدده	21
الخاتمة	24

للتواصل والاستفسار: waleed.tuza@gmail.com